لغز كذبة أبريل



محمود سالم

لغز كذبة أبريل

تأليف
محمود سالم



لغز كذبة أبريل

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٥١ ٧

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

فردة حذاء قديمة

اقتربت نهاية شهر مارس، وبدأ المغامرون الخمسة، وأصدقاؤهم في تدبير «المقالب» الأبريلية — نسبة إلى شهر أبريل — وهي «مقالب» ضاحكة وبريئة، وتُجرى على سبيل المزاح والتفكُّه، وليس على سبيل النَّكد والحزن.

وكان كلٌّ واحد منهم يُفكِّر وحده ويعمل وحده؛ فكذبة أبريل أهم ما فيها المفاجأة والابتكار، والحديث عن أي «مقلب» أو كذبة سيذهب بالمفاجأة.

وأخذ كل واحد من المغامرين يُحاول أن يَستنتِج ماذا سيفعل الآخر، وما «المقلب» أو «الكذبة» التي سيتلقَّاها ... أهي مُكالمة تليفونية بصوت مختلف تحكي قصة وهمية أم هي برقية بمعلومات زائفة؟! هل هو طرد فارغ مُرسَل بالبريد ... أو هي تهنئة بالفوز مثلًا في شهادات الاستثمار، بمبلغ ألف أو عشرة آلاف جنيه؟!

هناك عشرات الأفكار والابتكارات، والمقالب ... المُهم أن تكون طريفة ومضحكة، وليست محزنة، ولا تسبب الارتباك والزَّعل كما يحدث لبعض الناس.

وجاء يوم أول أبريل ... وكانت أول كذبة فيه أن أحدًا من المغامرين الخمسة لم يُدبِّر أي مقلب ... أو يتحدَّث ... أو يفعل أي شيء ... لقد توقع كلٌّ منهم أن يقوم الآخر بتدبير كذبة مناسبة ... وكانت النتيجة أن أول أبريل حتى الساعة العاشرة صباحًا لم يحدث شيء ...

وفجأة ... على باب «تختخ» وقعت المفاجأة فقد خرجت الشغَّالة لإعطاء الملابس لصبي الكوَّاء فوجدت لفة صغيرة على درجات سلم «الفيلا» ... كانت ملفوفة في ورق أصفر سميك ... وتناولتها ... ووجدت معها خطابًا في مظروف باهت قديم.

تحيَّرت الشغَّالة لحظات، وتساءلت — في نفسها — عمَّن قدَّم هذه اللفة الغريبة، ولكنَّها تذكَّرت أن «توفيق» قال لها إنه يتوقَّع أن تصل إليه أشياء غريبة في أول يوم في أبريل … وهذا هو أول يوم في أبريل.

حملت الشغَّالة اللفة وذهبت إلى «تختخ»، الذي كان يجلس في غرفة نومه متكاسلًا في انتظار مقالب الزملاء … وضحك «تختخ» عندما أمسك باللفة، وتأكد من أول نظرة أنها من مقالب «عاطف»، وزاد تأكُّده عندما فتحها ووجد بداخلها أكبر مقلب تصوَّره … وجد بداخلها فردة حذاء قديمة!

وضحك «تختخ» وهو يضع الورق الذي لُفَّت به فردة الحذاء جانبًا، ثم وضع الفردة نفسها أمامه وأخذ يتأمَّلها … وتأكَّد — رغم المقلب — أن فردة الحذاء من صناعة الخارج، وأنها من نوع غالٍ مرتفع الثمن، وهي صالحة للاستعمال … ودُهش من أين حصل عليها «عاطف» ولماذا أرسل فردة واحدة ولم يُرسل الفردتَين … ورجح أنه اشتراها من أحد باعة «الروبابكيا»، ثم لاحظ وجود الخطاب وكان قد نسيه تمامًا … وأمسك بالمظروف يتأمله … كان المظروف من نوع رخيص حقًّا، فقد اختاره «عاطف» بعناية، وكان الخطُّ سيئًا ويدل على جهل شديد من كاتبه … فقد كانت كلمة «المغامرون» ينقصها حرف … وابتسم «تختخ» … لأن «عاطف» أتقن المقلب جيدًا!

وفتح «تختخ» الخطاب … كان بداخله ورقة قديمة تشبه فاتورة من أحد المحال التجارية وقد قُصَّ العنوان، ولم تتبقَّ إلَّا الصفحة البيضاء والخطوط الطولية التي عليها.

وهذا نص الخطاب:

«الأستاذ «تختخ» زعيم المغامرين الخمسة … وابتسم «تختخ» لكلمة زعيم … فهو لا يعتبر نفسه زعيمًا للمغامرين … إنه فقط واحد منهم، ومضى يقرأ:

لقد سمعت أنكم تحلُّون الألغاز وتُساعدون العدالة … فإذا كان ذلك صحيحًا … فهل يمكنكم حل لغز فردة الحذاء القديمة؟ إنكم إذا استطعتم حل هذا اللغز فسوف تتوصَّلون إلى تفاصيل قصة مثيرة لم يسبق لها مثيل.

إنني أختبركم، وإذا سألتني لماذا لم أذهب إلى رجال الشرطة، فأنتَ تَعرف الشاويش «علي» … إنه لا يحب الألغاز … إنه رجل ينفذ القانون فقط وقلَّما يستخدم عقله … ثم إن فردة الحذاء هذه كانت أمامه فترة من الزمن، ولكنه لم يفكر فيها مطلقًا. ولعلك تسأل … لماذا أُرسل لك فردة حذاء واحدة، ولم أرسل لك فردتين؟ هذا جزء من اللغز أيضًا … سلامي لكم جميعًا وتمنياتي بالتوفيق.»

وكان «التوقيع» يشبه ثعبانًا مُلتفًّا لا تمكن معرفة أي حرف فيه.

استلقى «تختخ» على فراشه مفكِّرًا ... كيف أرد المقلب لـ «عاطف»؟ هل يرسل فردة حذاء قديمة أيضًا؟ ولكن المسألة هكذا لا يكون فيها أي ابتكار، واسترسل في التفكير لحظات ثم دق جرس التليفون، ورفع السماعة وعلى الطرف الآخر كان صوت «عاطف» المَرِح يقول: كل كذبة وأنت طيب!

تختخ: كذبة قديمة جدًّا.

عاطف: كل الأكاذيب قديمة ... الحقائق هي الجديدة!

تختخ: ما هذه الفلسفة العميقة؟

عاطف: لا بأس من التفلسُف أحيانًا ... ما هي أخبارك؟ هل دبَّرتَ مقلبًا لأحد؟!

ابتسم «تختخ» لخبث «عاطف» وقال: لقد تركت الآخرين يدبرون المقالب لي، وقد أهدى إليَّ أحدُكم مقلبًا قديمًا؟

عاطف: هل المقالب فيها قديم وجديد؟ إنَّ روعة المقلب في أن يكون مبتكرًا!

تختخ: إنه مبتكر فعلًا ... ولكن المادة نفسها قديمة!

عاطف: أي مادة؟

تختخ: مادة المقلب ... أقصد موضوع المقلب!

عاطف: أنت محظوظ ... فهناك من يُفكِّر فيك ... أما أنا فلم أتلقَّ أي شيء قديم أو جديد.

تختخ: دعنا نرى ماذا فعل بقية المغامرين الخمسة ... ثم نناقش ما حدث لي.

عاطف: سأتولى الاتصال، ونتقابل في الكشك الصيفي في حديقتنا بعد ساعة.

وضع «تختخ» سماعة «التليفون» وانطلق ضاحكًا ... إن «عاطف» مصِرٌّ على الإنكار ويتصور أنه من الممكن أن يخفي الحقيقة.

وبعد ساعة كان «تختخ» يحمل اللفة معه بعد أن ربطها كما كانت، ثم توجَّه إلى حديقة منزل «عاطف» ... ووجد أصدقاءه في انتظاره وقد ارتفعت منهم الضحكات والقفشات.

وصاحت «لوزة» عندما شاهدت «تختخ»: قال لنا «عاطف» إنَّك ضحية مقلب ظريف!

تختخ: ليس ظريفًا جدًّا على كل حال.

نوسة: ومَن الذي دبَّر المقلب!

تختخ: إذا لم تخُنِّي فراستي ... فهو ...

محب: أحد زملائنا في المدرسة!

تختخ: لا.

نوسة: أحد الجيران؟

تختخ: أبدًا.

عاطف: إذن أنت لم تعرفه بعد!

تختخ: أعرفه.

عاطف: من هو؟

تختخ: أنت!

وضحك الجميع ما عدا «عاطف» الذي قال في لهجة صادقة: لستُ أنا! وسكتت الضحكات، ونظر الجميع إلى «تختخ» ... وكان واضحًا أن اتِّهامه غير صحيح، وأن «عاطف» لم يُرسل فردة الحذاء إليه، بوصفها مَقْلَبًا في أول أبريل، وأنَّ عليه أن يُصحِّح معلوماتِه.

محاولات للاستنتاج

نظر الجميع إلى «تختخ» في انتظار أن يفسر موقفه ... كيف استنتج أنَّ «عاطف» هو الذي دبَّر المقلب ... ولكن قبل أن يتحدث «تختخ» قالت «نوسة»: ألا ترى أولًا موضوع المقلب؟ لقد قال لنا «عاطف» تليفونيًّا إنَّ هناك كذبة ظريفة، ولكن لم يُحدِّثنا عن هذه الكذبة أو هذا المقلب.

مدَّ «تختخ» يده إلى «محب» باللفَّة قائلًا: هذا هو المقلب!

أخذ «محب» يفتح اللفة والأنظار كلُّها مُعلَّقة بيديه، حتى ظهرت فردة الحذاء القديمة ...

وضحك الجميع ... حتى «تختخ» عاودته رغبة الضحك على كذبة أبريل المصنوعة من الجلد والمسامير والدوبار، ولاحظ في ضوء النهار أن فردة الحذاء من النوع الجيد حقًّا وأنها ممتازة الصنع، وأخذ الجميع يتبادلون الفردة وقال «محب»: من الواضح أنها لم تُستخدم منذ زمن طويل، وأنها نظيفة وجافَّة وليس لها أيُّ رائحة.

نوسة: وهي صناعة الخارج.

ونظرت جيدًا في داخل الحذاء ثم قالت: إنها ماركة «بالي» المشهورة، وإن حذاءً من هذا النوع يساوي من سبعين إلى مائة جنيه هذه الأيام!

لوزة: معنى ذلك أن صاحبه ثريٌّ!

تختخ: بالطبع.

محب: ولكن مهما كان ثريًّا ... لماذا يُضحِّي بها ويرسلها إليك؟

ساد الصمت بعد هذه الجملة، وقال «عاطف»: أظن أنني لست من الثراء بحيث أضحِّي بفردة حذاء بهذا الثمن!

لوزة: إنها ليست مقاسك على كل حال ... ما مقاسها يا «نوسة»؟ عادت «نوسة» تنظر إلى الحذاء من الداخل والخارج ثم قالت: إنها مقاس «٤٣».

تختخ: معنى هذا أن صاحبها رجل طويل القامة.

لوزة: وهو أجنبيٌّ في الغالب.

تختخ: إذن أمامنا فردة حذاء مقاس «٤٣»، صاحبها طويل القامة، أجنبيٌّ في الغالب ... فمن الذي أتى بفردة الحذاء هذه إلينا؟!

محب: أليس هناك أي تفسير لهذا؟

تختخ: نسيت ... لقد كان معها خطاب!

وأخرج الخطاب من جيبه وأعطاه لـ «نوسة» التي قرأته بين صمت الجميع، وبعد أن فرغت من قراءته قال «محب»: المهم الآن ... هل الحكاية كذبة أبريل حقًّا، أو هي مسألة جادَّة!

عاطف: كذبة أبريل طبعًا ... من الذي يُفكِّر في إرسال فردة حذاء يوم أول أبريل إلى شخص، إلا إذا كان يريد أن يدبِّر له مقلبًا ظريفًا؟!

لوزة: إذن عندنا لغز.

نظر الجميع إليها في دهشة فقالت: سواء أكان هذا مقلبًا ظريفًا يتعلَّق بكذبة أبريل، أو هي مسألة جادة، فأمامنا لغز العثور على مرسل هذه الفردة الغالية.

سكت الجميع لحظات، ثم قال «تختخ»: إنَّني أتَّفق مع «لوزة» ... صحيح، مَن الَّذي يُضحِّي بفردة حذاء غالية لمجرد المداعبة ... إنَّ فَقْد فردة حذاء يعني التضحية بالحذاء كله!

عاطف: إلَّا إذا كان صاحب الحذاء أعرَج؛ يَلبس فردةً واحدةً!

تختخ: هذه وجهة نظر أيضًا ... ولكن الذي أعرفه أن الأعرج لا يَشتري حذاءً عاديًّا ... إنه يقوم بتفصيل فردة واحدة!

عاطف: إلَّا إذا كان قد أُصيب في حادث وفقَد إحدى قدميه، فأصبح يستخدم فردة واحدة من أحذيته القديمة.

تختخ: هذا معقول أيضًا.

لوزة: المُهم الآن أنَّ عندنا لغزًا ... يجب أن نعرف مَن الذي أرسل لك فردة الحذاء.

تختخ: تعالوا نستعرض معارفَنا ... مَن الذي يُمكن أن يكون عنده حذاء من هذا النوع استغنى عنه لمجرَّد كذبة أبريل؟

عاطف: إنَّ هذا مُستحيل.

تختخ: ليس مستحيلًا لسبب ... إنه بعد ساعات سوف يتصل بنا؛ ليسترد فردة الحذاء بعد أن يفتح شهيتنا لحل اللغز.

لوزة: في هذه الحالة يجب أن نستنتج اسمه قبل أن يتَّصل بنا، لنُثبت براعتنا في حل الألغاز كما يقول في الخطاب.

أخذوا يستعرضون معارفهم وأقاربهم وأصدقاءهم، ووقفوا أمام ثلاثة أسماء، وجاءت «لوزة» بالتليفون إلى «تختخ» الذي اتصل بأولهم وهو «فريد» الذي عاش فترة طويلة في لندن، وعُرف عنه حبه للدعابة ... وسمع «تختخ» صوت قريبه على الطرف الآخر وقال له: صباح الخير، كل أبريل وأنت طيب!

ثم مضى يقول: إنني أشكرك لأنك فكرت في هذا المقلب الظريف!

رد «فريد»: أي مَقلب؟!

تختخ: إرسال فردة الحذاء!

صاح «فريد»: فردة حذاء! ... أيُّ فردة حذاء؟! ... ماذا جرى لك يا «توفيق»؟ اكتسى وجه «تختخ» بحمرة الخجل وأخذ يُتمتم في اعتذار، ثم وضع السماعة وقال في ضيق: ليس هو إذَنْ!

محب: هل نحاول مع الباقين؟

لوزة: لا بد من المحاولة!

طلب الشخص الثاني والثالث، وتكرر الكلام نفسه والرد نفسه ... لا أحد منهم فكر في مقلب أول أبريل ... وبدا للمغامرين الخمسة أن ثمة شخصًا ما يريد أن يتحدَّاهم ... ويجرِّب قدرتهم على حل الألغاز.

قال «تختخ» مُفكرًا: ليس مهمًّا أن تكون المسألة كلها مجرد دعابة أو مسألة جادَّة، ولكن المهم الآن أن نعثر على مُدبِّر هذا المقلب!

محب: لنبدأ من البداية ... ألم تشاهد الشغَّالة عندكم مُرسِل هذا الطرد؟

تختخ: لا ... لقد فتحت الباب لصبي الكوَّاء، فوجدَتْ هذا الطرد أو هذه اللفة على السلالم!

نوسة: هذا يعني أن المُرسِل يعرفك ... ويعرف أنك أحد المغامرين الخمسة!

تختخ: هذا صحيح.

وأخذت «لوزة» تُقلِّب «الدوبارة» التي رُبِطَت بها اللفة، ثم تتأمَّل الورق الذي لُفت به وتشمُّه، ثم قالت: إنَّ رائحة هذا الورق السميك تدلُّ على أنه آتٍ من مكان به شحم … شحم معدني، وليس نباتيًّا ولا حيوانيًّا!

قال «عاطف» ضاحكًا: إنَّ أنفَكِ يقوم بعمله خير قيام.

لوزة: المسألة بسيطة … إن الزيوت النباتية أي المُستخرَجة من النباتات، كذلك الشحوم الحيوانية أو المُستخرَجة من الألبان، أو شحوم الحيوان لها رائحة خاصة … ولكن شُمُّوا هذه الورقة!

ودارت ورقة اللف مع المغامرين، كان واضحًا من رائحتها أنها تلوَّثت بشحوم معدنية، أي الشحوم التي تُستخدم في السيارات.

ثم قال «محب»، وهو يُمسك بـ «الدوبارة»، وهذه «الدوبارة» الخشنة أيضًا ليست عادية … إنها من النوع الذي تُلَفُّ به البضائع.

قال «تختخ»: وهذه الورقة التي كُتبت عليها الرسالة ليست ورقة عادية … إنها من أوراق «الفواتير» التي تُستخدَم في المطاعم لكتابة بيان البضاعة المُشْتَرَاة.

ثم رفَعَ الورقة وأخذ يتأمَّلها لحظات، ثم شمَّها وقال: أعتقد أنها «فاتورة» من «فواتير» محطَّات خدمة السيارات … إن لها رائحة الشحم أو البنزين!

لوزة: إذن فقد وصلنا إلى تحديدٍ ما … وهو أنَّ مُرسِل هذه اللفة يعمل في محطة خدمة للسيارات.

تختخ: بل على العكس … قد يكون مُرسِلها لا يعمل في أي شيء له علاقة بالسيارات، ولكنه يحاول تضليلنا، كما هي العادة مع المجرمين الذين يضعون آثارًا مزيفة لتضليل رجال الشرطة.

نوسة: لنتبع الآثار أولًا على أنه شخص يُريد حلَّ لغزٍ مثلًا … إمَّا لمجرَّد أن يتحدَّانا، أو لأنه يريد أن يثق بقدراتنا أولًا، ثم يضع بين يدَينا اللغز كاملًا.

لوزة: إنني أقترح البحث عن شخص يعمل في محطة لخدمة السيارات!

تختخ: ليس هناك سوى محطتَيْ خدمة في المعادي … الأولى: عند المدخل، والثانية: أمام كازينو «الجود شوط».

محب: هناك محطة ثالثة في طريق حلوان.

تختخ: أرجِّح أن يكون هذا الشخص قريبًا مِنا!

لوزة: يحدثني قلبي أنه ولد صغير … إن أسلوب الخطاب والخط يؤكدان أنه ولد صغير، خاصَّةً أن الأولاد والأطفال الصغار يَعرفون عنَّا أكثر من الكبار!

تختخ: هذا ممكن جدًّا، وما يعجبني في هذا اللغز العجيب أنه خاصٌّ بنا، وليس لأحد من رجال الشرطة دَخْلٌ فيه.

ولكن «تختخ» كان واهِمًا فلم يكد ينتهي من جملته حتى ظهر على الباب الشاويش «علي» الشهير باسم «فرقع»، وهو يبرم شاربه كعادته كُلَّما كان مستغرقًا في تفكير عميق.

ماذا يريد الشاويش؟

أخذ الشاويش — وهو يتقدم من المغامرين حيث يجلسون — يتأمل الطَّرد المفتوح، وفردة الحذاء الموضوعة في اللفة … وكانت أصابعه تدور بعصبية حول شاربه الضخم … ولم يكن هناك أدنى شك في أن فردة الحذاء وحدها مسألة ملفتة للنظر، وقد خطر لـ «عاطف» خاطر جعله يضحك في وسط السكون الذي خَيَّم على المكان … لقد تصور أنَّ من المُمكن أن يكون الشاويش «فرقع» هو الذي أرسل فردة الحذاء ليتحدَّى قُدْرَة المغامرين في حل الألغاز، ولكنه عاد فسكت، فلم يكن الشاويش يملك من الخيال والسخرية ما يؤهله لعمل هذا المقلب الغريب.

ولكن الذي خطر ببال «تختخ» كان شيئًا آخر … ما الذي أتى بالشاويش «علي» الآن إلى حديقة منزل «عاطف» … هل هناك شيء ما؟

ووصل الشاويش إلى حيث يجلس المغامرون، فوقفوا جميعًا احترامًا له، فمهما كانت الاختلافات بينه وبينهم فهو أكبر منهم سنًّا، وهو مُمثِّل القانون ويجب احترمه.

وقدمت له «نوسة» كرسيًّا فجلس، وسألته «لوزة»: هل تحب كوبًا من الشاي أو الليمون يا حضرة الشاويش؟

رد الشاويش بكلمة واحدة: شاي.

وانصرفت «لوزة» بسرعة لإحضار الشاي، برغم رغبتها الشديدة في معرفة أسباب تشريف الشاويش «علي».

وفي الواقع أن الشاويش بدا بعد لحظات — خاصة بعد الاحترام الذي لقيه من المغامرين — بدا محرجًا لقد كان في ذهنه شيء ما … إنه يبحث عن شيء ما، ولكنه ما دام لا يعترف بقُدرة المغامرين، فلماذا يأتي إليهم ليسألهم!

أخذ اضطراب الشاويش يزداد تدريجيًّا ... ثم وجد أن أفضل شيء يفعله هو سؤالهم عمَّا يفعلون، وخرج منه السؤال الآتي:

إنني باعتباري مُمثلًا للقانون في هذه المنطقة، أحب أن أسألكم:

وسكت ... وظل المغامرون في انتظار أن يكمل كلامه، ولكن الشاويش ازداد اضطرابًا وبدا وكأنه وقع في مأزق لا مخرج منه.

لم يحتمل قلب «تختخ» موقف الشاويش الحرج، خاصَّة أن الكلب «زنجر» ظهر عند بداية الحديقة، وبدا واضحًا أن الشاويش سيتعرض لمضايقات مختلفة، لهذا فإن «تختخ» قال: لعلك تريد أن تسألنا عن فردة الحذاء هذه!

كانت فرصة الشاويش واضحة الآن، لقد وجد شيئًا يسأل عنه غير الذي حضَر من أجله، فقال بتعاظُم: نعم ... أريد أن أسألكم عن فردة الحذاء هذه؟

ردَّ «تختخ» ببساطة: الحقيقة يا حضرة الشاويش أنَّنا نريد أن نعرف مثلك تمامًا من أين أتت هذه الفردة، ومَن الذي أرسلها!

وضع الشاويش ساقًا على ساق وقال: إذن أنتم لا تعرفون!

تختخ: لا ... فهل تعرف أنت؟ أو هل تستطيع أن تعرف؟

بدأ وجه الشاويش يحمَرُّ تدريجيًّا ... هل يسخر منه هؤلاء الأولاد ويطلبون منه هو ممثل القانون أن يتدخل من أجل فردة حذاء قديمة؟ ... إن هذه إهانة لا شك فيها، وعبَث، وأنزل ساقه وتصلَّبت عضلاته، واستجمع نفسه ليردَّ، ولكن «لوزة» ظهرت في هذه اللحظة وهي تحمل الشاي، وكان الشاويش — ولا يزال — ضعيفًا أمام الشاي الساخن ... لهذا عاد يضع ساقًا على ساق ويقول: بالطبع أستطيع.

قال «تختخ»: في هذه الحالة فإنك تُسدي لنا جميلًا لا يُنسَى!

وضعت «لوزة» الشاي ونظرت إلى المغامرين نظرة تساؤل عن معنى وجود الشاويش فقال «تختخ»: لقد تفضل الشاويش وقرر أن يساعدنا في البحث عن الشخص الذي أرسل إلينا فردة الحذاء.

قال الشاويش بعد أن رشف رشفة طويلة من الشاي: لا بد أنه «جزمجي». ولم يستطع المغامرون تمالُك أنفسهم أمام هذا الرأي الخطير، فانفجروا ضاحكين.

وأُصيب الشاويش بما يُشبه الذُّعر، وفكَّر أنه أخطأ فعلًا ... ما معنى أن المُرسِل هو «جزمجي» أَلأنَّها «جزمة» يكون المرسل «جزمجي»؟ ولو كانت عشرة جنيهات مثلًا أيكون المُرسِل هو البنك؟ ولو كانت قميصًا أيكون المُرسِل هو مصنع القمصان؟ ... أو «التَّرزِي»؟

كانت إجابة ساذجة فعلًا أوضحت ربكة الشاويش أمام الموقف، ولكن «تختخ» تدخل مرة أخرى لإنقاذ الشاويش قائلًا: وهل تعرف هذا «الجزمجي»؟

رد الشاويش: بالطبع لا، ولكن من الممكن البحث عنه ... إنني أعرف كل هؤلاء «الجزمجيَّة» في المعادي.

ومرة أخرى انفجر المغامرون ضاحكين، خاصة عندما وصل «زنجر» وأخذ يمارس هوايته بالعبث بقدمَي الشاويش ... ولكن «تختخ» زجره وطلب منه الابتعاد.

لم يَعُد أمام الشاويش شيء يفعله إلَّا أن يقول الحقيقة ... أن يقول لماذا حضَر إلى هذا المكان؟

أما حكاية فردة الحذاء القديمة؛ فمن المؤكَّد ألَّا دَخْلَ لها على الإطلاق بحضوره.

شرب الشاويش نصف كوب الشاي الساخن باستمتاع شديد، ثم قال ببساطة: لقد جئت أسألكم عن معلومات!

انتبه المُغامرون جيدًا؛ فلا بد أن هناك مشكلة مُستعصية على الحل عند الشاويش يريد أن يسألهم فيها، وهم على استعداد لذلك.

عاد الشاويش يقول: هناك «فيلا» مهجورة — أو بالضبط — عليها بعض المشاكل القانونية فلا يسكنها أحد ... تعرَّضَت هذه «الفيلا» لمُحاولات سرقة مستمرة خلال الشهر الأخير، والمشكلة أن لا شيء سُرِق من «الفيلا»!

اشتغلت أدمغة المغامرين كالموتورات ... إنَّ هذا يعني شيئًا واحدًا، هو أن اللصوص يبحثون عن شيءٍ معين لا يجدونه ... ومضى الشاويش يقول: لقد أخبرني جيران «الفيلا» أنهم شاهدوا أضواء في الليل، ولمَّا كانت هذه «الفيلا» تحت الحراسة القضائية، فعندي كشف بجميع محتوياتها ... وفي كل مرة أذهب لجرد محتويات «الفيلا» لا أجد شيئًا سُرِق منها.

نوسة: هل يذهب أحد الأشخاص للمبيت هناك، ثم يخرج دون أن يمسَّ شيئًا؟

فكر الشاويش لحظات ... إنَّ هذا الاحتمال لم يخطر بباله، وإنْ كان احتمالًا بعيدًا عن الواقع، وقال: هل يُمكن أن يُعرِّض شخص نفسه للقبض عليه لمجرَّد أنه يريد قضاء ليلة في مكانٍ ما؟

نوسة: لعلَّه شخص متشرِّد لا يجد مكانًا يبيت فيه؟

محب: ولكن يا «نوسة»، لو كان متشردًا لَمَا تردَّد لحظة واحدة في سرقة أي شيء يبيعه.

الشاويش: وبخاصة أن هذه «الفيلا» مفروشة بأفخم الأساس، وبها كمية ضخمة من التُّحَف الغالية التي يُقدِّرها الخبراء بعشرات الألوف من الجنيهات.

تختخ: ومَن الذي يَملِك هذه «الفيلا»؟

الشاويش: كانت مِلكًا لعائلة «النمراوي» ثمَّ باعوها بعقد ابتدائي إلى شخص أجنبي، ولكن هذا الشخص أُبعد من البلاد في ظروف مريبة، وحتى الآن ما زالت ملكية «الفيلا» معروضة على القضاء!

كانت قصة تستحق أن تُبحَث حقًّا؛ ففيها جميع عناصر الإثارة والغموض والمغامرة.

وقالت «نوسة»: وأين هذه «الفيلا» يا شاويش؟

أخذ الشاويش يَبرم شاربه لحظات وهو يفكر، أيقول لهم أم لا؟ ثم قال: ولماذا تريدون معرفة مكانها؟

هزَّ «عاطف» رأسه في ضيق وهو يقول: كيف تطلب منَّا مساعدتك في البحث عن هذه الظاهرة الغامضة دون أن نعرف المكان؟

شرب الشاويش بقية كوب الشاي مرةً واحدةً، ثم قال: مساعدتي! هل تظنُّ أيها الولد أنني — ممثل القانون في هذه المنطقة — أحتاج إلى مساعدة أولاد مثلكم؟

لم يكن هناك شك في أن المغامرين قد وقعوا ضحية ارتباك الشاويش وتردُّدِه، حتى قال «عاطف» مبتسمًا: أظن أنها كذبة أبريل يا شاويش!

صاح الشاويش: ماذا تقول؟ كذبة! هل يَكذب ممثل القانون؟ حذارِ أيها الولد أن تُخطئ … إن في إمكاني القبض عليك بتهمة إهانة موظَّف يؤدي عمله!

قال «تختخ»: لا تغضب يا حضرة الشاويش … حقك علينا، ولكن بالله عليك كيف تتصوَّر أن نعرف شيئًا يحدث في مكان لا نعرفه؟!

قام الشاويش واقفًا وهو يزمجر: انتهى الموضوع وانسوا المسألة … لقد تصوَّرتُ أنه ربما جاءتكم معلومات عن هذا الموضوع.

تختخ: ليس لدينا أيُّ معلومة عن هذه «الفيلا» … ولكن إذا أعطيتنا عنوانها فإننا يُمكن أن نقوم بجمع المعلومات التي تطلبها.

لَم يَردَّ الشاويش، واتخذ طريقه خارجًا من الحديقة، وأسرع «زنجر» يتبعه وهو يعبث بحذائه الأسود الثقيل، وصاح الشاويش غاضبًا ومُهددًا، ولكن «تختخ» لم يَردع «زنجر» هذه المرة، فقد أحسَّ أن الشاويش أضاع وقتهم وأنه يستحق ما يحدث له.

ركب الشاويش درَّاجته وانطلق، وجلس المغامرون صامتين، لقد كانت المعلومات التي أوصى بها الشاويش مثيرة حقًّا، ولكن كيف يمكن بحثُها دون معرفة العنوان؟

قالت «لوزة»: إنَّ عندنا لُغزًا جاهزًا هو «فردة الحذاء»، وأنا أحسُّ أنه لغز حقيقي، وعصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة.

ولد اسمه «جيران»

بدأت خطة البحث عن الشخص الذي أرسل هذا الطرد تتَّضح في مناقشة طويلة بين المغامرين الخمسة، ثم استقرَّ رأيهم على سرعة التحرُّك، واتفقوا على أن يقوموا بزيارة محطَّات البنزين الثلاث التي في المعادي وعلى طريق حلوان … كان ذلك مرحلة أُولى، فإذا صحَّت استنتاجاتهم حول مُرسِل الطَّرْد فسوف يحاولون معرفة القصة منه … فإذا لم يعرفوه فإنهم يعودون للاجتماع في المساء، وانقسموا إلى ثلاث فِرَق، كل فرقة تزور محطة من محطات البنزين الثلاث في المعادي.

وسرعان ما خرجت «نوسة» و«عاطف» معًا، و«لوزة» و«محب»، في حين خرج المغامر السمين «تختخ» مع «زنجر»، وقد اختار «تختخ» أن يذهب مع «زنجر» إلى المحطة البعيدة في طريق حلوان، وهي محطة صغيرة تخدم سيارات النقل الكثيرة التي تمرُّ في المنطقة قادمة من منطقة المصانع … وقد كان المشوار طويلًا ولكن الجو كان طيبًا. واستعدَّ «تختخ» للرحلة بإحضار بعض الشطائر له من المنزل، كما أحضر وجبة للكلب الأسود، ثم انطلق في سبيله.

كانت محطة الخدمة في مدخل المعادي هي هدف «لوزة» و«محب»، وكان الاتفاق بين الجميع أن يكون دخول المحطة بدعوى الرغبة في نفخ إطار الدرَّاجة، وهو مطلب غير صحيح؛ لأنَّ ضغط الهواء في أجهزة محطات البنزين قوي جدًّا وقد يُفَجِّر الإطار الرقيق للدرَّاجة، وعادة ما يرفض العاملون في المحطات أداء هذه الخدمة لراكب الدرَّاجات، ولكِنَّ المغامرين كانوا يبحثون عن أي سبب لدخول المحطة.

دخل «محب» وهو يقود الدرَّاجة بعد أن أفرغ بعض الهواء من العجلة الأمامية لها، وكانت الخطة هي ملاحظة العاملين بالمحطة، والبحث عن أيِّ آثار لورق اللف من نفس النوع الذي أتى به الطَّرْد، وكذلك نوع «الدوبارة» التي رُبط بها.

وقد تمت الخطة بنجاح، واستطاعت «لوزة» أن تقوم بجولة سريعة في المحطة راقبت فيها كل شيء، وبحثَت بجوار الجدران عن آثار الورق و«الدوبارة»، ولكن المحطة كانت نظيفة، ولم تكن هناك أيَّة آثار لما جاءت تبحث عنه، وأحسَّت «لوزة» بالضيق ... أولًا: لأنها كانت صاحبة الاستنتاج الخاص بمحطات البنزين، وثانيًا: لأنها كانت في عجلة من أمرها كعادتها دائمًا حين تُحاول حلَّ أحد الألغاز.

وعندما خرجَت من المحطَّة قالت لـ «محب»: إنني لا أستطيع الانتظار إلى المساء لأعرف أخبار بقية المغامرين.

محب: وماذا نفعل إذن؟

لوزة: تعالَ نلحق بـ «تختخ»؛ إنه بطيء في قيادة الدرَّاجات، ثم إنه سيذهب لإعداد بعض الطعام كما قال.

وافَق «محب» على هذه الخطة، وقفزا إلى درَّاجتهما، وانطلقا في طريق حلوان، وعندما اقتربا من المحطة لاحَظا أن الشاويش «علي» يتبعهما، وأدركا أنه كان خلفهما طوال الوقت دون أن يعرفا.

وقالت «لوزة»: لا بدَّ من تضليل الشاويش عن طريقنا؛ لأننا إذا دخلنا المحطة فسوف يعرف أننا نبحث عن شيء له علاقة بمحطات البنزين.

محب: ولكنه سيُشاهد «تختخ» ويعرف الحقيقة.

لوزة: إذن لا بد من تعطيله.

وعادا مُسْرعَين إلى الشاويش ... وحاول الشاويش أن يتظاهر بأنه لم يَرهُما، وأخذ يسرع بدرَّاجته، ولكن «محب» ناداه قائلًا: يا حضرة الشاويش ... يا حضرة الشاويش.

توقف الشاويش وقال بصوت غاضب: ماذا تريدان؟

محب: إننا نسألك، ماذا تريد؟

الشاويش: ليس لكما أيُّ حق في توجيه هذا السؤال.

محب: وهل لك الحق في اقتفاء أثرنا من المعادي إلى هنا؟

الشاويش: هذا عملي.

وبينما كان الحديث يدور بين الثلاثة، كان «تختخ» و«زنجر» يدخلان محطة البنزين، وخُيِّل لـ «تختخ» أنه بمجرد دخوله حدث شيء مريب ... هناك ولد صغير اختفى بسرعة خلف مبنى المحطة من الناحية التي تطلُّ على الحقول ... لم تَخْفَ هذه الحركة عن عينَيْ «تختخ»، ولكنه تظاهر بأنه لم يرَ شيئًا ... ودون أن يتوقَّف عند جهاز الهواء أسرع فورًا

إلى خلف المحطة، وكانت بانتظاره مُفاجأة، فقد وجد الولد الصغير يجمع بعض الأوراق وقِطع «الدوبارة» ويُحاوِل إخفاءها، وكان مُنحنيًا فلم يَرَ «تختخ» وهو يتقدَّم منه، ولكن ما إنْ رفع عينَيه حتى شاهد «تختخ» ينظر إليه مبتسمًا.

تردَّد الولد للحظات، ثم فجأةً ألقى ما في يده من أوراق وغيرها، وأطلق ساقَيهِ للريح في اتجاه الحقول ... وترك «تختخ» درَّاجته وانطلق خلفه ومعه «زنجر» الذي فهم ما يحدث.

كان الولد يجري كالسهم بين عيدان الذرة العالية، واستطاع بسرعة أن يختفي عن عين «تختخ» بينها، ولكن «زنجر» كان كالمغناطيس سرعان ما لحقَ بالولد، وسمع «تختخ» صوت «زنجر» الغاضب والولد يُحاول التخلُّص منه، واستطاع تحديد مكانه ... وفي لحظات كان يقف أمامه وهو يطلب من «زنجر» الهدوء.

قال الولد بصوت مُرتعِد: ماذا تُريد مني؟

تختخ: إنني لا أريد منك أي شيء ... بل إنني الذي أسألك نفس السؤال.

الولد: إنني لم أفعل شيئًا.

تختخ: ومن الذي قال إنك فعلت أي شيء؟

الولد: إنك ستُبلغ رجال الشرطة.

تختخ: إذا كنت قد ارتكبت أي خطأ فسوف أبلغ عنك الشرطة بالطبع، ولكنني أؤكد لك أنني سأفعل المستحيل لحمايتك.

كان الولد في سنِّ «تختخ» تقريبًا، ولكنه رفيع وأسمر، يلبس بعض الملابس البالية المكونة من قميص متسخ بالشحم، وسروالًا قد اختفى لونه الأصلي، وحذاءً مُموَّجًا ... وكان شعره منكوشًا ووجهه هزيلًا. وبدون كلمة واحدة أخذ «تختخ» طعامه، ثم مدَّ يده بقطعة من الشطائر المحشوَّة بالبسطرمة والبيض.

نظر الولد إلى «تختخ» بدهشة وقال: ما هذا؟

كانت الرائحة المُميزة لهذا النوع من الطعام واضحة، فقال «تختخ»: سوف نأكُل معًا ... نأكل «عيش وملح» لنُصبح أصدقاء. تناول الولد الطعام وهو غير مُصدِّق، ثمَّ انهمَكَ من الفور في أكله، واختار «تختخ» جانبًا من الحقل قرب الترعة، وقال: تعالَ نجلس. وجلسا معًا وأخذا يأكلان وقد ساد الصمت، ووضع «تختخ» طعام «زنجر» أمامه، فأخذ يأكل هو الآخر ... كانت وجبة ثلاثية بين الحقول؛ فقد كانوا بعيدين عن الكورنيش الصاخب بحركة السيارات، حيث كان الشاويش و«محب» و«لوزة» قد انتهوا من حوارهم الغاضب، وأسرع الشاويش عائدًا بدرَّاجته.

انتظر «محب» و«لوزة» حتى اختفى الشاويش بين حركة السيارات الضخمة ثم دخلا المحطة، ولم يكن هناك أثر لـ «تختخ»، وانتابتهما الدهشة ... لقد شاهدا الولد السمين وهو يدخل المحطة منذ عشر دقائق، فأين ذهب؟

أخذا ينظران حولهما، ولكن لم يَعثُرا على شيء ... وقال «محب»: أين صديقنا السمين؟

لوزة: لا أدري، وحتى درَّاجته غير موجودة!

كان «تختخ» قد ترك الدرَّاجة خلف محطة البنزين فلم يرها المغامران الصغيران.

وقال «محب»: هيَّا نَعُدْ سريعًا إلى المعادي ... ولنُنفِّذ الخطة كما وُضعت، ونَنتظِر بقية المغامرين في المساء.

وفي تلك الأثناء كان «تختخ» والولد يأكلان، ثم أخرج «تختخ» من جيبه الخطاب الذي كان في اللفة وقال: أأنتَ الذي أرسلت هذا الخطاب؟

تردَّد الولد لحظات، وأخذ ينظر حوله كأنه يُريد الفرار مرة أخرى فقال «تختخ»: أؤكد لك أنني سوف أحميك، لا تخشَ شيئًا وقُلْ لي ماذا خلف هذه القصة كلها، فردة الحذاء، والخطاب، وهل ...؟

الولد: إنني لم أفعل شيئًا. إنَّ رجال الشرطة ...

قاطعه «تختخ»: لا تخفْ، إنني أشعر شعورًا قويًّا أنك لم ترتكب أيَّ خطأ، إن رجال الشرطة يخدمون العدالة، ويحمون المظلومين، وأنا أعرف المفتش «سامي» مدير البحث الجنائي ... وسوف أجعلك تقابله.

الولد: ماذا تُريد؟

تختخ: ما اسمك أولًا؟

الولد: اسمي «زيد عبد الرحيم» وشهرتي «جيران».

تختخ: «جيران»! اسمك «جيران»؟!

الولد: نعم ... فقد تربَّيْتُ عند الجيران بعد أن مات أبي وأمي في حادث سيارة، وكنت أقضي ليلة عند كل جار من جيراننا فسمَّوني «زيد جيران»!

أحسَّ «تختخ» بالعطف على الولد الصغير وقال: وما حكاية فردة الحذاء التي أرسلتها لي يا «جيران»!

صمت الولد لحظات ثم قال: إنها قصة طويلة سوف أرويها لك!

الفردة الثانية

استمرَّا يأكلان فترة ... كان واضحًا أنَّ الولد «جيران» جائع وخائف، ولكن بعد الطعام، وبأسلوب بسيط، استطاع «تختخ» أن يَقضي على خوفه، وقال له: لا تخشَ شيئًا، إنني أعدك بمُساعدتك إذا رويت لي قصتك.

قال الولد: القصة كلها حزينة ولا أدري متى تَنتهي؟

تختخ: سينتهي كل شيءٍ على ما يرام.

الولد: ماتت أمي وأبي في حادث واحد، وكنت معهما في سيارة أجرة في طريقنا إلى زيارة أقارب لنا في بلدنا البعيد، وسقطت السيارة في ترعة نتيجة السرعة المجنونة، وماتا معًا، وبقيت وحدي، كنتُ صغيرًا فربَّاني جيراننا، وهم فقراء، وتقلَّبت منذ صغري في أعمال كثيرة: صبي مكوجي، صبي حلاق، صبي ميكانيكي، ثم اشتغلتُ في منزل رجلٍ غني، وكنتُ سعيدًا.

تختخ: وماذا حدث؟

الولد: اختفى الرجل، سمعتُ أنهم أبعدوه عن مصر لأسباب لا أعرفها حتى الآن!

رنَّت جملة «أبعدوه عن مصر» في ذهنِ «تختخ» كأنه سمعها منذ لحظات، نعم لقد سمع هذه الجملة قريبًا جدًّا ... ولكن!

استمر الولد يقول: كان رجلًا أجنبيًّا ... وجاء ذات يوم ليحلق شعره في المحل الذي أعمل فيه، ولا أدري لماذا عطف عليَّ، المهم أنه أعطاني «بَقْشِيشًا» سخيًّا، ثم طلب مني بعد إغلاق المحل أن أمر عليه في «الفيلا» التي يسكن فيها؛ لأنه يُريدني أن أعمل بها ... تردَّدتُ ... ولكني في اليوم التالي ذهبت إليه، فوجدت الرجل يعيش وحيدًا في «الفيلا» الكبيرة، وقال لي إنه يبحث عن ولد في مثل سني للعمل في «الفيلا»، بالطبع لستُ وحدي؛ فقد كان هناك

شخصان يَحضُران أسبوعيًّا للنظافة الكاملة، وكانت هناك غسَّالة تأتي لغسيل الملابس، ولم يكن المطلوب منِّي سوى غسيل الأطباق وفرش السرير.

كان «تختخ» يَستمع باهتمام وبحزن في نفس الوقت؛ فقد بدا أن الزمن قد قسا على الولد كثيرًا، وأحسَّ بالعطف عليه، ومضى الولد يقول: وقضيت مع الرجل فترة طويلة طيبة كان يعاملني فيها كابنِه، بل إنه أرسلني إلى إحدى المدارس الخاصة، حيث تعلَّمتُ الكتابة والقراءة إلى حَدٍّ ما.

وسكت الولد لحظات يتأمل ما حوله ثم مضى يقول: وقد لاحظتُ حرصه الشديد في حياتِه؛ فهو يستَرِيب في أي شخص يأتي بقُرب «الفيلا»، وهو حريص على البقاء حتى يتسلَّم رسائله وبعض الطُّرود التي كانت تصل إليه من الخارج!

تختخ: وماذا كان عمله؟

الولد: لا أدري … فلم يقل لي شيئًا، ولم تكن له مواعيد منتظمة؛ فهو أحيانًا يظهر طول النهار في «الفيلا» جالسًا في مكتبه وقد أغلق عليه الباب، وبين لحظة وأخرى يدقُّ لي الجرس ليطلب لي فنجانًا من القهوة أو كوبًا من الشاي، فإذا خرج فإنه يسألني عند عودته إنْ كانت قد وردت له رسائل، أو دُقَّ التليفون، أو حضر شخص لزيارته … إنَّهُ كان مهتمًّا جدًّا بهذه الأشياء.

تختخ: وهل تعرفت على الأشخاص الذين كانوا يزورونه؟

الولد: لا … كانوا عادة يأتون في وقت متأخر من الليل، وكنت أسمع وَقْع أقدامهم فقط، ولكني لم أقابل منهم أحدًا.

تختخ: وبعد؟!

الولد: في الأيام الأخيرة بدا أنه مُضطرِبٌ إلى حَدٍّ ما، بدا خائفًا، وكان يسأل عن الرسائل بإلحاح، وأحيانًا كان يُرسلني إلى مكتب البريد للسؤال عن الرسائل والطرود، وذات يوم ما قال لي إنه في انتظار «طَرد» هامٌّ جدًّا، وإنه إذا حدث له شيء، وتسلَّمتُ أنا الطرد فيجب أن أحتفظ به عندي، وألَّا أسلمه إلى أي مخلوق مهما كان … واستأجر لي غرفة في منزلٍ عند أطراف المعادي، وقال لي إذا حدث لي شيء ووصل إليك الطرد؛ فخذه واحتفِظْ به عندك في غُرفتك … ولا تسلمه لأي مخلوق إلَّا إذا أمرتُك بهذا، أو جاءتك مني رسالة.

وسكت «جيران» لحظات ثم قال: وذات يومٍ ذهبت إلى مكتب البريد وجدت الطرد الذي كان ينتظره مستر «مورياتي» …

وعدتُ مسرعًا إلى «الفيلا» وأنا سعيد جدًّا لأنني وجدت الطرد الذي كان ينتظره، وكانت مفاجأة لي عندما وصلتُ إلى «الفيلا» وجدتها مُحاصَرة برجال الشرطة … وقفتُ بعيدًا أنظر إلى ما يحدث وقد أُصبت برعب شديد؛ لقد تربيت متشردًا في الشوارع، ومنظر رجال الشرطة يبعث الفزع في قلوب المتشرِّدين، حتى لو كانوا أبرياء.

أُعجب «تختخ» بملاحظة الولد الصغير … إنه ذكيٌّ حقًّا، وإنْ كانت الظروف لم تسمح له بزيادة تعليمه، غير أن الحياة علمته الكثير. وعاد «زيد» يتحدث قائلًا: ظَلَلْت واقفًا بضع دقائق وأنا أفكر فيما أفعل، ثم بعد لحظات وجدت مستر «موريياتي» خارجًا بين رجال الشرطة، فأدركت أنه كان يقوم بعمل غير قانوني لا أعرفه، وإلا ما قبضت عليه الشرطة.

عدت إلى غرفتي أفكر فيما أفعل، إن الرجل أحسن معاملتي، وجعلني موضع ثقته، وفي الوقت نفسه كنت قد وعدته بالمحافظة على هذا الطرد مهما حدث. ولكن القبض عليه أثار مخاوفي فلم أدرك ماذا أفعل.

تختخ: وماذا حدث بعد ذلك؟

زيد: كنت قد قرأت وسمعت عنكم، عن المغامرين الخمسة، ففكرت أن أضع المسألة كلها بين أيديكم، ولكن حدث شيء مُضحك!

وابتسم الولد وابتسم «تختخ» مُنتظِرًا أن يسمع هذا الشيء المضحك.

وقال «زيد»: أخذت أتحسَّس الطرد من الخارج، كنت أريد أن أستنتج شيئًا مثلما تفعلون، ولكن الصندوق الذي به الطرد كان قويًّا، ولا يُمكن تحسُّس شيء عن طريق اللمس، ولم يعُد أمامي إلَّا أن أفتح الطرد.

وتوقف الولد لحظات وقد غابت ابتسامته: كنت أعرف أن في هذا خيانةً للأمانة والثقة، ولكن الإغراء كان قويًّا، والقبض على مستر «موريياتي» أثار شكوكي فيه.

وتردد الولد لحظات ثم قال: وفي ليلة بعد مرور أيام من التفكير فتحت الطرد … وكانت دهشتي شديدة!

تختخ: وجدت فردة الحذاء.

زيد: ليس فردة واحدة … ولكن فردتين!

تختخ: إذن أين الثانية؟

زيد: عندي!

تختخ: ولماذا إذن أرسلت فردة واحدة؟

زيد: قلت إنها تَكفي لكي يحلَّ المغامرون الخمسة اللغز … فإذا حلُّوه فسوف يحصلون على الفردة الثانية.

تختخ: وإذا لم نَحلَّه؟

زيد: لم يكن ذلك مهمًّا ... فقد كنت أنوي الاتصال بك مباشرةً ... وقد أعطيتُكم مهلة ثلاثة أيام لحلٍّ لغز فردة الحذاء ... ولكنها لم تأخذ منكم إلا ثلاث ساعات ... إنكم فعلًا أذكياء!

تختخ: وماذا تصوَّرتَ عندما وجدت ما في الطرد؟

زيد: أصابتني دهشة شديدة كما قلت لك ... فما قيمة حذاء مُستعمَل يُرسَل في طرد بالبريد؟ وأخذت أفحص الحذاء مرارًا وتكرارًا، ولكنه لم يكن أكثر من مجرَّد حذاء، كأي حذاء آخر.

وساد الصمت، ولم يعد يُسمع إلا صوت السيارات المارة في الطريق البعيد، وكان الولدان قد انتهيا من تناول طعامهما، وكذلك «زنجر» ... واستغرق «تختخ» في تفكير عميق ... وهناك شيء يلح على خاطره، وهو حكاية إبعاد رجل من البلاد يَسكُن في «فيلا» ... لقد تذكَّر الآن ... إنها الجُملة التي قالها الشاويش عندما كان يشرب الشاي في الصباح ... فهل هو الشخص نفسه؟!

وإذا كان ذلك كذلك ... فما حقيقة مستر «موريياتي»؟ إن القبض على شخص يعني أنه يُمارس شيئًا ضد القانون، ولكن لماذا لم يُحاكَم ويُسجَن؟ لماذا أُبعِدَ من البلاد؟

إنَّ هذا السؤال يحتاج إلى إجابة ... ما الأسباب القانونية التي تُؤدِّي إلى إبعاد شخص عن البلاد دون محاكمة؟ وقرَّر أن يسأل والده، أو المفتِّش «سامي». وقف «زيد» فجأة وقال: يجب أن أعود إلى عملي وإلا طُرِدْتُ!

تختخ: وأين أجدك؟

زيد: إنني أعمل في محطة البنزين، وأنام فيها أيضًا ... تستطيع إذن أن تجدني في أيِّ وقت تشاء!

تختخ: وفردة الحذاء الثانية؟

زيد: لقد أعطيتُها إلى صديقٍ لي، فقد نسيتُ أن أقول لك إنَّ ثمة أشخاصًا سألوا عنِّي في الغرفة التي كنتُ أسكن فيها، ويبدو أنَّهم من طرف مستر «موريياتي» لهذا سارعت بترك الغرفة، وأقمتُ في المحطة، ولكني فضلت أن أُبقِي الحذاء عند صديقي في علبته حتى لا يضيع في المحطة، فليس هناك مكان هنا للاحتفاظ به.

تختخ: إذن سأمُرُّ عليك، إما الليلة أو غدًا صباحًا، وأريدك أن تُحضِر فردة الحذاء معك، إنَّ المسألة تبدو مهمَّة.

زيد: ولكن ما موقفي إذا ثبَت أن مستر «موريياتي» كان يقوم بعمل ضد القانون!

تختخ: أعدك أن أساعدك، إنَّ المفتش «سامي» مدير البحث الجنائي صديقي، وسوف أشرح له موقفك، وأعتقد أنه سيُقدِّر ما فعلت.

وقام الولدان، وبعد دقائق كان «تختخ» يسير بدرَّاجته على الكورنيش وخلفه «زنجر». كان مُستغرقًا في التفكير حتى إنه لم يلاحظ أن الشاويش «علي» كان مُختفيًا خلف بعض الأشجار في الطريق، وعندما شاهد «تختخ» يمرُّ بدرَّاجتِه انطلق خلفَه، فلا بد أن هذا المغامر السمين قد عرف شيئًا ... إنه دائمًا يَعرف أشياء عجيبة ... هكذا حدَّث الشاويش نفسه.

مقلب حقيقي!

كان تفكير «تختخ» مُرَكَّزًا حول حكاية الحذاء هذه، لقد اكتسبت القضية أبعادًا جديدة، فما حكاية هذا الحذاء؟ وما أهميته بالنسبة للمدعو «مورياتي»؟ … ولماذا كان خائفًا عليه إلى هذا الحد؟ ولماذا طلب من «جيران» أن يحتفظ به مهما كانت الظروف؟!

وابتسم «تختخ» وهو يتذكَّر هذا الاسم، إنَّ «زيد» قد تحوَّل إلى اسم «جيران» وهزَّ رأسه، ولمح الشاويش وهو يتبعه بجوار الرصيف المقابل، وانتقل من التفكير في الحذاء إلى التفكير في الشاويش، ما حكاية «الفيلا» التي تحت الحراسة؟ وصاحبها الذي أُبعِدَ عن البلاد، إن قصة الشاويش مطابقة لقصة «جيران»، فهل الرجل المُبْعَد هو «مورياتي»؟!

واستدار «تختخ» فجأة إلى ناحية الشاويش، ثم توقف عن السير، وركن الدرَّاجة على الرصيف، وتلاقت عيونهما، وتظاهر الشاويش أنه كان في طريقه العادي، وأنه مُندهِش لوجود «تختخ» في هذا المكان، ولكن نظرة «تختخ» كانت واضحة كأنها تقول للشاويش: لماذا تتبعني؟

وتوقف الشاويش مكانه، واتجه «تختخ» إليه … وقال دون مقدمات: يا حضرة الشاويش … إنك منذ الصباح، لماذا لا تسألني عمَّا تريد؟

عبث الشاويش بشاربه لحظات فعاد «تختخ» يقول: إننا نَفقِد وقتًا ثمينًا بهذا الأسلوب، وسأسألك أنا: هل الرجل المُبْعَدُ من البلاد الذي كان يُقيم في «الفيلا» اسمه مستر «مورياتي»؟

بدت الدهشة على وجه الشاويش وتلوَّن وجهه بألوان قوس قُزَح، وأخذ ذهنه يعمل بسرعة … كيف عرف هذا الولد السمين اسم «مورياتي»؟ … وهل لهذا علاقة برحلته الغامضة إلى محطة البنزين في طريق حلوان؟

عاد «تختخ» يتحدث قائلًا: إنه هو الرجل المُبْعَدُ ... وأحب أن أقول إنَّ فردة الحذاء التي رأيتها هذا الصباح عندنا لها علاقة بإبعاد مستر «موريياتي» من البلاد!

وقبل أن يَفهم الشاويش هذه المعلومات التي انطلقت من فم «تختخ» كالمدفع الرشاش كان «تختخ» قد أدار بدال درَّاجته وابتعد، تاركًا الشاويش يتخبَّط في أفكاره ودهشته المؤلمة.

وصل «تختخ» إلى منزله مُرهَقًا وقد حانت ساعة الغداء، ولكنه كان لا يزال نصف شَبْعَان بالوجبة الصغيرة التي تناولها هو و«جيران»، ولكن رائحة السمك المقلي التي كانت منتشرة في البيت جعلته يجلس إلى مائدة الطعام، وتذكَّر من الفور أنه يريد أن يسأل والده عن سبب إبعاد شخص من البلاد.

قال والده مُجيبًا: لماذا تسأل يا «توفيق»؟

تختخ: إنني أحاول ...

وقبل أن يكمل حديثه قال والده: تحلُّ لغزًا من ألغازك الشهيرة!

تختخ: نعم!

الوالد: إنَّ إبعاد شخص من البلاد دون محاكمة يمكن أن يتمَّ لأسباب كثيرة، أهمها إذا كان الشخص يتمتَّع بالحصانة الدبلوماسية، فكل دبلوماسي يتمتع بهذه الحصانة إذا قام بعمل مخالف للقانون يُطْلَبُ استبعاده من البلاد، وكذلك الأجنبي الذي يُشَكُّ في أنه يقوم بنشاط غير مشروع، ولكن لا يمكن جمع أدلة على قيامه بهذا العمل، فإنَّ الحكومة تقوم بترحيله من البلاد؛ لأنه شخص غير مرغوب فيه!

وصمت والد «تختخ» لحظات ثم سأل: ولكن ... هل اللغز الذي تحلُّه له علاقة بأحد الدبلوماسيين؟

تختخ: لا أدري حتى الآن يا أبي ... ولكن يبدو أننا نواجه حالة مثل هذه!

انتهى «تختخ» من الغداء، ودخل غرفته ليستريح قليلًا كعادته بعد الظهر، ولكنه لم يستطع الاستسلام للنوم، كان موضوع الحذاء يشغله، وفجأةً قفز من فراشه ... أين فردة الحذاء؟ لقد تركوها في حديقة منزل «عاطف» ولم يأخذوها معهم ... أما زالت هناك؟

قام «تختخ» إلى التليفون واتصل بمنزل «عاطف» ... وردت عليه «لوزة» قائلةً: أين أنت؟

تختخ: لقد عثرت على كنز من المعلومات، ولكنَّ المهم الآن ... أين فردة الحذاء؟

«لوزة»: أيُّ فردة؟

تختخ: الفردة التي كانت معنا هذا الصباح ... التي أرسلها الشخص المجهول.

«لوزة»: ألم تُرسِل في طلبها؟

تختخ: أنا؟!

«لوزة»: نعم ... جاء ولد صغير منذ ساعة تقريبًا، وقال إنك تريد فردة الحذاء فأعطيتها إيَّاه!

تختخ: «لوزة» ... أحقًّا حدث هذا أم هذه كذبة أبريل أخرى؟

«لوزة»: هذا ما حدث يا «تختخ» ... ألم تُرسل حقًّا في طلبها؟

تختخ: أبدًا!

«لوزة»: شيء عجيب!

تختخ: العجيب أن تُعطوه الفردة بدون أن تتصلوا بي!

«لوزة»: لقد صدقناه، فليس هناك أحد يعلم بوجود هذه الفردة عندنا سوى أنت.

تختخ: لقد وقعنا ضحية مقلب حقيقي هذه المرة، إنكِ لا تتصورين بَعْدُ مدى أهمية فردة الحذاء هذه ... إن وراءها قصة من أخطر القصص!

«لوزة»: لماذا لم تتَّصل بنا عندما عدت؟

تختخ: لقد رأيت أن نجتمع في المساء كالمعتاد.

«لوزة»: على كل حال، دعنا نجتمع الآن؛ لعلنا نستطيع عمل شيءٍ.

أسرع «تختخ» يرتدي ثيابه مرة أخرى، وقفز إلى درَّاجته وخلفه «زنجر» وبعد دقائق قليلة كان المغامرون الخمسة مجتمعين في حديقة منزل «عاطف» وقد بدا عليهم الوجوم ... وقال «محب»: ماذا حدث يا «تختخ»؟

أخذ «تختخ» يروي عليهم قصة لقائه مع الولد «زيد» أو «جيران» واستمع المغامرون إلى حديثه باهتمام بالغ، فقد كانت القصة شائقة، خاصةً بعد أن ضاعت فردة الحذاء التي كانت مفتاح اللغز، وتمَّ الاستيلاء عليها بذكاء شديد.

وبعد أن انتهى «تختخ» من حديثه وروى ما حدث بينه وبين الشاويش أخذ المغامرون يتناقشون في كل ما حدث، وانتهوا إلى شيء واحد، هو العثور على الفردة الثانية التي عند «جيران» وهذا أملهم الوحيد الآن!

قال «تختخ»: لقد اتفقت معه على أن أمرَّ عليه هذا المساء أو غدًا صباحًا!

محب: لا داعي للانتظار ... يجب أن نذهب فورًا!

تختخ: إنني أفضِّل كالعادة أن نقسم العمل بيننا ... أقترح أن تبقى «لوزة» و«نوسة» هنا لانتظار أي تطورات ... ثم التفت إلى «لوزة» وسألها: بالمناسبة يا «لوزة» ... ما هي أوصاف الولد الذي حضر مُدَّعِيًا أنني أرسلته وأخذ فردة الحذاء؟

«لوزة»: إنه ولد متوسط القامة ... كبير الرأس ... منكوش الشعر ... أبيض اللون.

وفكرت قليلًا ثم قالت: وتبدو عليه علامات السذاجة!

تختخ: إنه بالتأكيد ليس «زيد» «جيران»!

وانهمك في التفكير لحظات ثم قال: إنني أظن أن «موررياتي» هو الذي أرسله!

نوسة: «موررياتي» ... ألم تقل إنه أُبعدَ من البلاد؟

تختخ: نعم ... ولكن لعله عاد متنكرًا، أو بجواز سفر باسم مُختلِف ... أو أرسل مندوبًا عنه ... فالمسألة غاية في الخطورة، كما أفهمني أبي أن «موررياتي» هذا أبعدته السلطات المصرية، إمَّا لأنه يتمتع بالحصانة الدبلوماسية، أو لأنه غير مرغوب فيه ... وفي كلتا الحالتين هناك شيء كبير يموت ... أسرار خطيرة!

وقف «عاطف» قائلًا: دعونا ننطلق، إن المساء يهبط بسرعة! قفز الأولاد الثلاثة إلى درَّاجاتهم، وأسرع «زنجر» يقفز خلف «تختخ» ثم انطلقوا جميعًا في اتجاه حلوان ... كانت الشمس قد مالت للمغيب عندما وصلوا إلى محطة البنزين ... ووقف «محب» وعاطف بعيدًا، في حين تقدم «تختخ» إلى المحطة، ووجد رجلًا عجوزًا يقوم بغسل سيارة فسأله عن «جيران» فتوقف الرجل عن العمل لحظات وقال: ماذا حدَث لهذا الولد؟ ... إن أشخاصًا كثيرين سألوا عنه!

دقَّ قلب «تختخ» بعنف وسأل: وأين هو؟

ردَّ الرجل: لا أدري أين ذهب ... لقد استأذن منذ نحو ثلاث ساعات، ولكنه لم يَعُد حتى الآن!

تختخ: وهل تعرف أين يسكن؟

الرجل: إنه يُقيم هنا في هذه المحطة ... ولكن أحيانًا يذهب لينام عند صديق له هناك.

وأشار الرجل بعيدًا إلى مجموعة من البيوت القديمة بين المزارع والنخيل.

وشكر «تختخ» الرجل وانصرف مسرعًا. ومرة أخرى أسرع الثلاثة بالدرَّاجات و«تختخ» يشير إلى العزبة.

كان الظلام قد هبط، ولمعت الأضواء الصغيرة في المزارع، وبدا الطريق شاقًّا ووعْرًا، وأضاء الثلاثة أضواء درَّاجاتهم، وأخذ «زنجر» ينبح بين لحظة وأخرى ردًّا على نباح الكلاب الكثيرة التي توجد في مثل هذه الأماكن.

اقترب الأولاد الثلاثة من العزبة الصغيرة ... ووجدوا محلًّا لبيع أنواع البقالة ... محل صغير يقف فيه ولد صغير للزبائن ... واتجه إليه «محب» واشترى قطعة صغيرة من الشوكولاتة ثم سأله: أين يسكن الولد «زيد»؟

نظر إليه الولد لحظات ثم قال: «زيد»!

قال «محب»: نعم «زيد» الذي يعمل في محطة البنزين.

ابتسم الولد وهو يقول: تَقصد «جيران»!

محب: نعم ... «جيران».

في مثل هذه العزب الصغيرة يعرف الناس بعضُهم بعضًا ... لهذا فقد قال الولد على الفور: إنه لا يسكن هنا، ولكن له صديقٌ اسمه «حنفي» يسكن عند السيدة «سكينة» في آخر منزل بعد هذا الطريق ... وأمام المنزل ثلاث نخلات ستدلُّك على المنزل!

ليلة حافلة

نزل المغامرون من على الدرَّاجات وساروا على أقدامهم نحو ربع ساعة حتى وصلوا إلى المنزل الذي وصفه البقَّال الصغير ... وجدوا النخلات الثلاث، وأمامها البيت الصغير المظلم، وتقدم «تختخ» ودقَّ الباب، وانتظر لحظات دون أن يجيب أحد، وعاود الدق من جديد ... وبعد دقائق مرت كأنها ساعات فُتح الباب وظهرت سيدة عجوز تَرفع في يدها مصباحًا صغيرًا وقالت: مَنْ هناك؟

رد «تختخ»: أنا صديق لـ «حنفي» ... هل هو موجود:

ردت السيدة: «حنفي» لا أدري ماذا جرى لهذا الولد ... إنه طول النهار يجري هنا وهناك، وقد خرج منذ ثلاث ساعات ولم يعد!

ثلاث ساعات ... ثلاث ساعات ... فكَّر «تختخ» لحظة ... خرج «زيد» من المحطة منذ ثلاث ساعات، وخرج «حنفي» من منزله منذ ثلاث ساعات ... ما الحكاية؟!

سألها «تختخ» من جديد: هل كان معه «جيران»؟

ردَّت السيدة: منذ ساعتَين حضر «جيران» وسأل عنه ولم يكن موجودًا!

وابتعد «تختخ» وقد أحسَّ أن الأمور تسير في طريق غامض، وأن اللغز يفلت من بين أصابعهم ... وعاد إلى «محب» و«عاطف» وروى لهما ما دار بينه وبين السيدة.

قال «محب»: دعنا ننتظرهما!

عاطف: ولكننا لا نعرف إذا كانا سيعودان أوْ لا!

محب: إن المسألة مهمة جدًّا ... لا بد من العثور على أحد الولدين ... إن أحدهما سيُفسِّر لنا ما حدث.

كان كلام «محب» منطقيًّا ... وهكذا جلس الأولاد الثلاثة مختفين خلف النخلات الثلاث يراقبون المنزل ... ومرت ساعة، وساعتان، وبدا واضحًا أن انتظارهم لن يؤدي إلى أي نتيجة. وقال «عاطف»: أظن أننا انتظرنا بما فيه الكفاية ... هيا بنا.

ولم يكن هناك اعتراض، وركب الثلاثة درَّاجاتهم، ولكن فجأة ظهر ولد تَنطبق عليه الأوصاف التي قالتها «لوزة» عن الولد الذي حضر وأخذ فردة الحذاء ... كان يسير في اتجاه المنزل، وهو يحمل في يدِه لفَّة صغيرة، عرف الأصدقاء أنها الفردة التي أخذها من عند «عاطف»، فبرز الثلاثة أمامه، وحدثت مُفاجأة؛ فقد انحرف الولد في حارة ضيقة ثم أطلق ساقيه للريح، ولم يتردد «محب» أقوى وأسرع المغامرين، فقد ترك درَّاجته وانطلق خلف الولد يعدو بكل قوته ... كانت الحارة مظلمة، والبيوت غير منتظمة ... ولكنَّ أُذُنَي «محب» الحادتين كانتا تسمعان صوت قدمي الولد على أرض الحارة الملتوية ... فكان يجري ويجري ثم يقف ليَستمع ثم يجري مرة أخرى.

ظل الولد يجري في الحواري الفارغة، وكان يجري على شكل دوائر، فهو يلف ويدور ويلف ويدور ... ولم يقف «تختخ» و«عاطف» في انتظار نهاية المطاردة المثيرة، فقد أطلق «تختخ» كلبه «زنجر» الذي انطلق وراء «محب» في حين أخذ «تختخ» و«عاطف» يَجريان في اتجاهات مختلفة ... ومضت نحو نصف ساعة من المطارَدة، ثم سمع «تختخ» صوت نباح «زنجر»، وصوت الولد وهو يَصيح ذعرًا ... واتجه إلى المكان، وشاهد الولد مُلتصِقًا في جدار أحد المنازل، وهو يلهث، وكان «زنجر» يحاصره، في حين كان «محب» يقترب منه مُحذِّرًا إيَّاه من محاولة الفرار.

صاح الولد: ماذا تُريدون مني؟

رد «تختخ» من الفور: لقد سرقتَ شيئًا منَّا.

الولد: إنني لم أسرق شيئًا.

تختخ: لا تحاول الإنكار، سنُسلمك إلى قسم الشرطة فورًا إذا لم تقل الحقيقة، لقد ذهبت إلى منزل زميلنا هذا «عاطف» وأخذت شيئًا ليس لك، وقلت إنك قادم من عندي ... وأنا لم أرسلك!

انهار الولد وقال: فردة الحذاء؟

تختخ: نعم فردة الحذاء.

الولد: وهل هذه المطاردة كلها من أجل فردة الحذاء؟

تختخ: نعم ... هاتها.

الولد: إنها ليست معي.

تختخ: إذن ما هذا الذي معك؟

الولد: إنه طعام اشتريتُه لأمي المريضة!

أحس المغامرون بالغضب يَجتاحهم ... وسأله «محب» بعنف: وأين فردة الحذاء!

الولد: لقد بعتُ الفردتين لبائع «روبابكيا»!

تختخ: بائع «روبابكيا»؟

الولد: نعم ... كان «جيران» قد أخذ فردةً وقال لي إنه سيُرسلها لكم لأنكم تحلون الألغاز، وكنت أسمع عنكم، وكانت عندي الفردة الثانية ... فقلت في نفسي إنها ليسَت بذات فائدة لأحد، فعرضتها على بائع «روبابكيا» فلم يرضَ شراءها، وطلب مني إحضار الفردة الثانية، فذهبت إلى منزلك، وقالوا لي إنك خرجت، فذهبت إلى منزل صديقك حيث حصلت على الفردة الثانية.

تختخ: وأين «جيران»؟

الولد: لا أدري ... إنه منذ أن أخذ منِّي فردة الحذاء أمس لم أره!

تختخ: إنه في خطر شديد ... والآن أين بائع «الروبابكيا»؟

الولد: إنه يسكن عند سور استاد «المعادي» القديم.

تختخ: هيَّا بنا!

الولد: أريد أن أُعطي أمي هذا الطعام!

وسار الأربعة حتى منزل الولد ... ودخل فأعطى أمه لفة الطعام وخرج، وكان المغامرون الثلاثة يتحدثون، وقال «عاطف»: لو أن بائع «الروبابكيا» باع الحذاء لأي شخص لوقعنا في مشكلة كبيرة!

تختخ: نعم ... ستكون نهاية حزينة لمغامرة رائعة.

ركب الولد أمام «محب» على الدرَّاجة، وانطلق الأربعة عبر الحواري العتيقة خارجين إلى الكورنيش، ومنه اتجهوا إلى المعادي.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة ليلًا عندما أشرفوا على «الاستاد» الكبير المهجور، وأخذوا يتلمسون طريقهم وسط السيارات القديمة في الظلام، حتى وصلوا إلى أكواخ صغيرة عند نهاية السور ... وشاهدوا عدة عربات من النوع الذي يستخدمه باعة «الروبابكيا»، وأشار الولد إلى إحدى العربات وقال: هذه هي العربة!

اقترب المغامرون منها ... كانت مُحَمَّلَة بالأشياء القديمة، ونظروا إلى الأكواخ الصغيرة، وسمعوا أصوات الرجال والنساء والأطفال وأجهزة «الراديو»، وقال «محب»: هل سنُفتِّش العربة دون سؤال صاحبها!

تختخ: إن في ذلك مخاطرة؛ فقد يرانا أحد ويظن أنَّنا لصوص ... من الأفضل أن نبحث عن الرجل ونسأل عنه!

وعندما استداروا ناحية الأكواخ حدثت مفاجأة ... لقد ظهر «زيد» «جيران» أمامهم وهو يتلمَّس طريقه في الظلام ... وصاح «حنفي»: «جيران»! التفت «جيران» إليهم، وبدت على وجهه علامات الدهشة الشديدة ثم اتجه إليهم ... وفي كلمات سريعة فهموا منه أنه علم من بعض أصدقائه أن «حنفي» باع الحذاء لأحد باعة «الروبابكيا» من منطقة «المعادي»، فحضر إلى هذا المكان الذي يعرفه جيدًا.

دار عتاب بين «جيران» وصديقه «حنفي» ... ودافع «حنفي» عن نفسه قائلًا: لقد أبقيت الحذاء عندي فترة طويلة، وكنت محتاجًا إلى نقود ... فأنت تعرف أنهم طردوني من العمل، وكانت أمي تُطالبني بنقود طوال النهار، ولم أكن أعرف أن حذاءً قديمًا له كل هذه الأهمية عندكم، ولم يكن أمامي أن أفعل غير ما فعلت.

جيران: أي تاجر الذي بِعْتَهُ الحذاء!

حنفي: إنه سليمان أبو طويلة!

جيران: إنه تاجر سخيف ... كم أخذت منه؟

حنفي: ثلاثة جنيهات!

وأخرج «تختخ» من جيبه خمسة جنيهات وأعطاها لـ «حنفي» وقال له اذهب إليه، وادفع له الجنيهات الخمسة وهات الحذاء!

واختفى «حنفي» في الظلام، ومعه الجنيهات الخمسة، ووقف الأصدقاء معًا في صمت ... كانوا جميعًا يدركون أهمية ما يحدث الآن ... فلو أنهم عثروا على الحذاء فسيتمكَّنون من الاستمرار في المغامرة. أما إذا فقدوه فسوف يكون أملهم ضعيفًا جدًّا في الوصول إلى حلٍّ للغز الحذاء العجيب. ولكن كل شيء مضى على ما يُرام؛ فقد ظهر «حنفي» وهو يحمل الحذاء بيده على ضوء الكوخ، وصاح الأصدقاء بفرح، ولكن فرحهم لم يستمر إلا لحظات، فقد ظهر فجأةً شخص في الظلام وانقضَّ على «حنفي» محاولًا انتزاع الحذاء منه ... وتجمد المغامرون في مكانهم لحظات، وعندما انتبهوا إلى ما يحدث كان الرجل قد اختفى في الظلام، ووصَل الأصدقاء إلى «حنفي»، كان مطروحًا على الأرض بعد أن دفعه الرجل دفعة قوية،

ولكن الرجل لم يكن قد حصل على فردتَي الحذاء … كان قد حصل على فردة واحدة، وكان «حنفي» … ما زال مُتَشَبِّثًا بالفردة الثانية.

ولم يكد الأصدقاء يُنْهِضُون «حنفي» من سقطته حتى انقضَّ عليهم رجلان، ودار صراع طويل … وكان أسرعهم في التصرف «محب»، الذي خطف فردة الحذاء وجرى بعيدًا.

استمر الصراع لحظات قليلة، وعندما لم يجد الرجلان فائدة من مُحاولة الحصول على فردة الحذاء تركا المكان واختفيا في الظلام.

كانت حصيلة المعركة عدة إصابات خفيفة في وجه الأولاد. وقد أبدى «جيران» وصديقه بطولة في المعركة، واستطاع «جيران» أن يُصيب أحد الرجلين بضربة قوية في أسنانه … ولكن لم تكن هذه هي كل الحصيلة؛ فقد كان هناك شيء مهم جدًّا، لقد سقطت من أحد الرجلين محفظة نقوده … وأمسكها «تختخ» بين يديه مفكِّرًا لحظات ثم قال: قد يعود الرجلان مرة أخرى … هيَّا بنا سريعًا.

عاطف: أين «محب»؟

تختخ: سنجدُه في الطريق، أو قد يعود إلى «المعادي» وينتظرني هناك!

وركب «جيران» أمام «تختخ» و«حنفي» أمام «عاطف» … وانطلق الأربعة وخلفهم «زنجر» الذي اشترك في المعركة، وخرج منها وفي فمه قطعة من ثياب أحد الرجلين بعد أن عضَّه عضة مؤلمة في ساقه. ووصلوا إلى المعادي في سلام … واتجهوا إلى حديقة منزل «عاطف».

البحث عن اللغز

كان «محب» في انتظارهم مع «لوزة» و«نوسة» ... وأمسك «تختخ» فردة الحذاء في يده، وأخذ يُقرِّبُها من الضوء ... وكان الولدان «جيران» و«حنفي» سعيدين ... إنهما الآن فعلًا مع المغامرين الخمسة يَشتركان في معاركهم ... ويشاركان في استنتاجاتهم.

كان «تختخ» يقول وهو يدق بأصابعه على جوانب الحذاء: من غير المعقول أن يكون كل هذا الصراع من أجل حذاء مهما كانت قيمته المادية ... لا بد أن هناك سرًّا خطيرًا مدفونًا في هذا ...

وقبل أن يتم جملته صاح: اسمعوا!

وأخذ يدق على كعب الحذاء بعُقلة إصبعه الوسطى ... يدق ... ويدق ... ويستمع في تركيز واهتمام ... وقال: الكعب مجوف! تعالوا نجلس في الكشك حيث الأدوات مُتوفِّرة.

ودخلوا جميعًا الكشك الصيفي، وأبدى الولدان «جيران» و«حنفي» إعجابهما بالكشك، وقال «عاطف» لهما: يُمكنكما قضاء الليل هنا حتى نرى ما يحدث ... إن عودتكما إلى العزبة فيها خطر شديد عليكما.

وفي الكشك أخرج «تختخ» صندوق أدوات النجارة، واختار شاكوشًا صغيرًا أخذ يدق به جوانب كعب الحذاء ... ثم زاد الطَّرق على الجانب الداخلي للكعب، الجزء المواجه للنعل، وفجأة انفصل جزء من الكعب وسقط على الأرض، وبدا في داخل الكعب تجويف، مد «تختخ» أصابعه فيه وأخرج قطعة من الورق الخفيف مُطَبَّقَة بعناية ... وأمام أنظار المُغامِرين والصديقين الجديدين فَرَدَ الورقة، وكانت هناك كتابة منظَّمة جدًّا باللغة الإنجليزية، تحوي الاسم الأول لعشرة أشخاص، وقال «تختخ»: نستطيع أن نستنتج الآن شيئًا، إنَّ هناك قائمة بأسماء مجموعة من الأشخاص، نصفها هنا، والنصف الثاني في الفردة الثانية، وكل هذه الألغاز والمغامرات للحصول على هذه المجموعة من الأسماء، وهي

أسماء أشخاص أجانب، لا أدري ما أهميتهم ... ولكن إذا ربطنا بين إبْعاد مستر «موريياتي» واهتمامه الشديد بالحصول على الحذاء لقُلْنا إنه كان يريد معرفتهم لسبب ما لا ندريه.

نوسة: ما الخطوات التالية؟

قالت «لوزة» بسرعة: يجب الاتصال فورًا بالمفتش «سامي»؛ فإنَّ عنده معلومات كاملة عن الموضوع بالتأكيد!

وبسُرعة أمسك «تختخ» بسماعة التليفون وهو يقول: اقتراح معقول جدًّا ... وحتى إذا لم يكن المفتِّش يعلم شيئًا عن الموضوع؛ فمن المؤكَّد أنه سيهتم جدًّا بهذه المعلومات!

وسمع «تختخ» صوت المفتش «سامي» على الخط فقال: مساء الخير يا حضرة المفتش ... اليوم هو أول أبريل وكل سنة وأنت طيب!

المفتش: كل سنة وأنت طيب ... هل دبَّرت مقلبًا جيدًا لأحد أصدقائك؟

تختخ: للأسف! ... لقد دبَّر أحدهم مقلبًا لي ... ولكن النتيجة كانت مغامرة ولغزًا من نوع فريد ... بدأ أول النهار، ولعله ينتهي آخر الليل!

المفتش: ما هذه الألغاز يا «توفيق»؟

تختخ: إننا لم نصل إلى الألغاز بعد ... ولكن إليك هذا اللغز ... هل تتصوَّر أن يدور صراع بين مجموعة من الرجال ومجموعة من الأولاد للحصول على حذاء مُستعمَل؟

المفتش: ما قيمة هذا الحذاء؟

تختخ: إنه حذاء من الجلد العادي، وإنْ كان مصنوعًا في إنجلترا!

المفتش: إذن ليس مصنوعًا من الذهب مثلًا!

تختخ: لا!

المفتش: إن ذلك يُعدُّ لغزًا فريدًا حقًّا!

تختخ: إنه فريد طبعًا، خاصةً إذا علمت أن كعب الحذاء مجوَّف، وبه قائمة بأسماء أشخاص لا نعرف مدى أهميتهم!

بدا الاهتمام في صوت المفتش وقال: قائمة بأسماء!

تختخ: نعم ... والرجل الذي تُهمُّه هذه القائمة، وفعل المستحيل من أجل الحصول عليها يُدعى مستر «موريياتي»!

لم يكد المفتش يستمع إلى هذا الاسم حتى بدا التوتُّر في صوته وقال: تقول «موريياتي» ... هل أنت متأكد؟

تختخ: نعم، متأكد جدًّا ... إنه شخص تمَّ إبعاده عن البلاد منذ فترة!

المفتش: هذا صحيح … إنك في أثر شخص مهم جدًّا!

تختخ: إن أعوان «موريارتي» — وربما هو شخصيًّا — في البلاد الآن، وقد خضنا معركة معهم منذ ساعة تقريبًا.

قال المفتش بصوت كله هَمٌّ: لماذا لم تُخطرني قبل الآن؟

تختخ: لأنني لم أعرف الحقيقة إلا منذ دقائق!

المفتش: أين أنت؟

تختخ: في منزل «عاطف».

المفتش: سأَحضُر فورًا … وخذ حذرك أنت وزملاؤك!

ووضع «تختخ» السماعة … والتفت إلى الجالسين … كانوا جميعًا قد أدركوا أنهم وراء لغز ومغامرة وقصة لا مثيل لها … وقبل أن ينطق أحدهم بحرف ظهر الشاويش «علي» أمام باب الكشك الخشبي، وكانت «لوزة» ستُغادر المكان لإحضار بعض «الساندوتشات» للجميع … خاصةً لـ «جيران» و«حنفي». فقد بدا عليهما أثر الجوع والإرهاق.

دخل الشاويش الكشك … وعندما شاهد الولدَين صاح فيهما: ماذا تفعلان هنا؟

رد «تختخ» بعنف: ما هذا الكلام يا حضرة الشاويش … إنهما ضيفان عندنا!

الشاويش: ولكن …

تختخ: ولكن ماذا … أرجو ألا تتصرف معهما بشكل سيئ … إن أي كلمة تُسيء إليهما سأعتبرها إهانة لي!

الشاويش: ولكني قبضتُ على هذا الولد «حنفي» قبل الآن بتهمة التشرد!

تختخ: قبل الآن نعم … ولكن الآن هو في خدمة العدالة!

الشاويش: أي عدالة التي يُخدمها هذا الولد؟

تختخ: إنه يخدم بلدنا كله … وستعرف بعد قليل الحقيقة كاملة!

أشار الشاويش إلى الحذاء وقال: وهذا الحذاء … ما حكايته؟

تختخ: إن حكايته أكبر مما تتصوَّر … تفضَّل بالجلوس دقائق … وستعرف كل شيء!

مضت الدقائق ثقيلة … ولكن ظهور «الساندوتشات» أثار ضجة من الجميع، وانقضُّوا جميعًا عليها … ومضت نصف ساعة … وفجأة سمعوا صوت السيارات تقف أمام باب الحديقة، وعرفوا أن المفتش «سامي» ورجاله قد وصلوا.

أسرع المغامرون إلى لقاء المفتش … ودخل بعد لحظات وشاهد الشاويش، ثم «جيران» و«حنفي»، وبسرعة أخذ «تختخ» يشرح له كل شيء … ثم قدم له قائمة الأسماء.

وأخذ المفتش «سامي» يقرأ ووجهه يعكس مدى اهتمامه ثم قال: لقد اتضح كل شيء، إنها شبكة تجسُّس، لقد قمتم بعمل لا مثيل له! والتفت إلى الشاويش قائلًا: استدعِ حضرات الضباط من الخارج.

وأسرع الشاويش لتنفيذ الأمر، وفجأة قال المفتش: أين المحفظة التي حصلتم عليها في أثناء المعركة.

أخرجها «تختخ» من جيبه وأخذ المفتش يُخْرِج ما بها من نقود وأوراق ... وهو يقرأ بسرعة، وعندما دخل الضباط قال المفتش: في هذا العنوان رجل أو عدة رجال، اقبضُوا عليهم فورًا. وقدَّم لهم ورقة كانت في المحفظة.

وخرج الضباط لتنفيذ الأمر، وقال المفتش: أريد من الولدَين أن ينصرفا الآن، وهما يحملان فردة الحذاء معهما ... إنني أتوقع أن يظهر الرجال مرة أخرى وسوف نتبعُهما عن قرب.

أخذ «جيران» فردة الحذاء بعد أن أعاد إليها «تختخ» الكعب المتحرِّك ... وخرج الولدان بعد أن شرح لهما المُفتش ما يجب أن يفعلاه، وركب المُغامرون مع المفتش في سيارته، وتبعتهما سيارة أخرى بها قوة من الضباط والجنود.

سار الولدان في الشارع الرئيسي ... كانت الساعة قد تجاوَزَت منتصف الليل، وقد خلت الشوارع من المارَّة، وسارت السيارتان على مَبْعَدَة منهما، وعندما وصلا إلى الكورنيش ظهرت سيارة سوداء تسير على مهل، وهمَس المفتش هذه في الأغلب السيارة التي يركبها الرجال.

على ضوء الطريق بدا الولدان على مَبْعَدَة كأنهما شبحان، وبدت السيارة السوداء تقترب منهما، وطلب المفتش من السائق الإسراع، وفعلًا تم كل شيء كما توقعه المفتش ... فقد توقفت السيارة السوداء ونزل منها رجلان انقضَّا على الولدين في محاولة لانتزاع فردة الحذاء منهما ... وفي الوقت نفسه انقضَّ رجال المفتش «سامي» على الرجلَين، وقفز أحد الضباط إلى السيارة السوداء وأخرج السائق منها.

واقترب المفتش من الرجلين ونظر إلى أحدهما وقال: «موررياتي» ... لقد أبعدناك لأنَّنا لم نستطع الحصول على أدلة تدينك أمام القضاء ... والآن ما رأيك؟

موريياتي: إنَّ فردة حذاء قديمة ليست دليلًا!

المفتش: ولكن كعب هذا الحذاء كافٍ جدًّا بوصفه دليلًا ... لقد حصلنا على نصف القائمة وذهب رجالي لإحضار بقية رجالك، وسنَجد النصف الثاني.

نظر «موريـاتي» إلى «جيران» ... فقال «جيران»: لقد كنتَ تخون البلد الذي استضافك ولم تتصوَّر بالطبع أنني لا يُمكن أن أخون بلدي.

أمسك «تختخ» يد المفتش «سامي» وطلب أن يُحدثه على انفرادٍ ... ووقف الاثنان جانبًا، وقال «تختخ»: إنَّ هذين الولدين قد أدَّيا خدمةً عظيمةً للوطن ... وأنا أعرف أنهما في ظروف غاية في السوء!

المفتش: سأفعل كل شيء من أجلهما ... سأحصل لهما على معونة من الوزارة، وسوف يدخلان المدرسة ويُكملان تعليمهما ... إننا لا ننسى من يؤدون خدمة للوطن.

وابتسم «تختخ» وهو يقول: لم أكن أتصور أن فردةَ حذاء يمكن أن تؤدي إلى القبض على عصابة من الجواسيس!

وانضمَّ المغامرون إلى المفتش و«تختخ» في حين كان رجال المفتش «سامي» يقودون الرجال الثلاثة إلى السيارات الواقفة، وقال المفتش مُوجِّهًا حديثه إلى الأولاد: إنني أشكركم جميعًا على ما قمتم به من عمل ... وسوف يكون «زيد» و«حنفي» موضع رعايتي من الآن.

وانتهت مغامرة كذبة أبريل ... في يوم واحد!


هنداوي